و (خلفوا) بتشديد اللام مضاعف خلف المخفف الذي هو فعل قاصر معناه أنه وراء غيره مشتق من الخلف بسكون اللام وهو الوراء . والمقصود بقي وراء غيره . يقال : خلف عن أصحابه إذا تخلف عنهم في المشي يخلف بضم اللام في المضارع فمعنى (خلفوا) خلفهم مخلف أي تركهم وراءه وهم لم يخلفهم أحد وإنما تخلفوا بفعل أنفسهم . فيجوز أن يكون (خلفوا) بمعنى خلفوا أنفسهم على طريقة التجريد . ويجوز أن يكون تخليفهم تخليفا مجازيا استعير لتأخير البت في شأنهم أي الذين خلفوا عن القضاء في شأنهم فلم يعذرهم رسول ا A ولا أيسهم من التوبة كما أيس المنافقين . فالتخليف هنا بمعنى الإرجاء . وبهذا التفسير فسره كعب بن مالك في حديثه المروي في الصحيح فقال : وليس الذي ذكر ا مما خلفنا عن الغزو وإنما تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه . اه .

يعني ليس المعنى أنهم خلفوا أنفسهم عن الغزو وإنما المعنى خلفهم أحد أي جعلهم خلفا وهو تخليف مجازي أي لم يقض فيهم . وفاعل التخليف يجوز أن يراد به النبي A أو ا تعالى .

وبناء فعل (خلفوا) للنائب على ظاهره فليس المراد أنهم خلفوا أنفسهم .

وتعليق التخليف بضمير " الثلاثة " من باب تعليق الحكم باسم الذاتز والمراد : تعليقه بحال من أحوالها يعلم من السياق مثل (حرمت عليكم الميتة) .

وهذا الذي فسر كعب به هو المناسب للغاية بقوله (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) لأن تخيل ضيق الأرض عليهم وضيق أنفسهم هو غاية لإرجاء أمرهم انتهى عندها التخليف وليس غاية لتخلفهم عن الغزو لأن تخلفهم لا انتهاء له .

وضيق الأرض : استعارة أي حتى كانت الأرض كالضيقة عليهم أي عندهم . وذلك التشبيه كناية عن غمهم وتنكر المسلمين لهم . فالمعنى أنهم تخيلوا الأرض في أعينهم كالضيقة كما قال الطرماح : .

ملأت عليه الأرض حتى كأنها ... من الضيق في عينيه كفة حابل وقوله (بما رحبت) حال من (الأرض) . والباء للملابسة أي الأرض الملابسة لسعتها المعروفة . (وما) مصدرية .

و (رحبت) اتسعت أي تخيلوا الأرض ضيقة وهي الأرض الموصوفة بسعتها المعروفة .

وضيق أنفسهم : استعارة للغم والحزن لأن الغم يكون في النفس بمنزلة الضيق . ولذلك يقال للمحزون : ضاق صدره وللمسرور : شرح صدره .

والظن مستعمل في اليقين والجزم وهو من معانيه الحقيقية . وقد تقدم عند قوله تعالى (

الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) في سورة البقرة وعند قوله تعالى (وإنا لنظنك من الكاذبين) في سورة الأعراف أي وأيقنوا أن أمر التوبة عليهم موكول إلى ا دون غيره بما يوحي به إلى رسوله أي التجأوا إلى ا دون غيره . وهذا كناية عن أنهم تابوا إلى ا وانتظروا عفوه .

وقوله (ثم تاب عليهم) عطف على (ضاقت عليهم الأرض) وما بعده أي حتى وقع ذلك كله ثم تاب عليهم بعده .

و (ثم) هنا للمهلة والتراخي الزمني وليست للتراخي الرتبي لأن ما بعدها ليس أرفع درجة مما قبلها بقرينة السياق وهو مغن عن جواب (إذا) لأنه يفيد معناه فهو باعتبار العطف تنهية للغاية وباعتبار المعطوف دال على الجواب .

واللام في (ليتوبوا) للتعليل أي تاب عليهم لأجل أن يكفوا عن المخالفة ويتنزهوا عن الذنب أي ليدوموا على التوبة فالفعل مستعمل في معنى الدوام على التلبس بالمصدر لا على إحداث المصدر .

وليس المراد ليذنبوا فيتوبوا إذ لا يناسب مقام التنويه بتوتتة عليهم . وجملة (إن ا هو التواب الرحيم) تذييل مفيد للامتنان .

(يا أيها الذين أمنوا اتقوا ا وكونوا مع الصادقين) E A